

التجربة الشعرية في أطباق أحمد الرمضان الشهية

قد يطلق اسم طبق من الطعام على قبيلة فتشتهر به وها هي قريش قد أشتُهرت بـ(سخينة) لشدة حبها لهذه الأكلة، والسَّخِينَةُ هي : طعامٌ يُتَخَذُ من الدقيق دون العصيدة في الرقّة وفوق الحساء لذلك وثّق الصحابي الشاعر كعب بن مالك هذا اللقب في بيت خالد ما خلّد الدهر يوم بدر بقوله:-

رَعَمْتُ سَخِينَةً أَنْ سَتَغْلِبُ رَبِّيَهَا

وَلَا يُغْلِبُنَّ مُغَالِبُ الْغَلَّابِ

وكم سرّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كثيراً بهذا البيت وأشاد به.

ونجد العرب يطلقون بعض التسميات على الأطعمة بحسب مكانتها في نفوسهم واشتعارها بينهم

فأطلقوا تسمية الأسودين على الماء والتمر

من حسن طالع الطعام أن يجد شاعراً مغرماً بأطباقه المتنوعة مُتَلَذِّذاً بنكهاته ويُخلِّدَ لحظات الشهية الساخنة بما متّعهُ الله من جزالة شعرية ومتانة أدبيةٍ

وخيالٍ محلّقٍ يدخلك معه في مسرح جريمة الاتهام حتى تشعر بطعم الوجبة متسللاً إلى فمك وإن وجد مطعماً متميزاً في وجباته لا يغفل عن تكريمه بقصيدة معنونة باسمه، فهو يعتبر فارس هذا الغرض الشعري -أدب الطعام- بلا منازع لأن هذا الغرض من النادر أن يُطرق من قِبل الشعراء ربما لغفلتهم عنه أو لربما لكونه من باب الترف فالشعر منزّه عن ذلك حسب رؤية بعضهم أو لربما تكون هناك أسباباً أخرى تبرر عزوفهم عنه

ومن اللغات الرائعة التي تحسب لهذا الشاعر الولوج في مناطق بكر فلم يدع أكلةً شعبيةً إلا وثّقها ببيت شعري وقد يسهب في التغزل بها في قصيدة برمتها كما يتغزل الحبيب بحبيبته وكيف لا يكون ذلك وهو القائل

وأغرف من بحور الشعر بيتاً

يمرُّ بخافقي عذوباً زُلّالا

ولم يكن استدعاء الأكلات الشعبية المحببة لأغلب مناطق المملكة (محبوس الأحساء - ومحموس القطيف - ومراسيع القصيم - ومطازير نجد - وحنيز الجنوب - وسليق الطائف - ومنذتو الحجاز - ومليحيّة الشمال)

استدعاءً عثياً بل هو نشر لثقافة المجتمع من ناحية التميز والخصوصية في الوجبات وما تهواه النفس من شهوة البطن

ولولا العشق المتفاني لتناول الأطعمة والتلذذ بتذوقها لما استطاع أن يبدعَ في وصفها هذا الوصف
الدقيق وكأنما هويته المهيمنة رياضة تحريك الفم
أخذتُ إجازتي ليخفَّ وزني
وأطردَ من تدلِّي البَطْنِ همِّي

وأولُ ما ابتدأتُ بها إذا بي
بلا وعيٍ أسيرُ لطبخِ أمِّي
وصار بجدولي أثَرُ (المصَّواني)
وكلُّ رياضيَّتي (تحريكُ فمِّي)

ومن يتعمق في قراءة قصائده الطريفة التي طوَّعَها في هذا الجانب ووضعها في قالب شعري رصين يتجلى
له مقدار الهم الذي تكبد عناؤه في رسم لوحات كوميدية يبهجُ بها القلوب وقد ورد عن الإمام عليّ بن
أبي طالب: رَوَّحُوا الْقُلُوبَ، واطْلُبُوا لَهَا طُرْفَ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ^١
الأبدانُ

وإن كان قيس جُنَّ في حب ليلي وعنترة ذاب في عشق عبلة فهذا الرمان قد تولَّع حبه في الشكولاتة
فصرَّح قائلاً :
الحبُّ ، سرُّ الحبِّ .
معنى الحبِّ في
صفِّ لأعوادٍ من الـ (كِت كاتِ)

وكان ذات يوم ماشيا في الطريق العام منهكا ... و إذا به يرى لوحة في حقيقتها مكتوب (كافة
التخصصات الطبية) لكنه رآها (كافة التخصصات) فكتب :-
هل أرى محضَ سرابٍ ...
أم تُرى في العينِ آفةٌ
من تُرى مثلي قَرَّأها ..
لوحةَ المَشْفَى (كُنافة) ؟

وطالما أعلن في أكثر من قصيدة هزيمته أمام الرقيم ونكت مرغماً العهود والمواثيق بمجرد مشاهدته

للأطباق وهي تتطأير أمام عينيه :-

إنه المنديُّ في فكري يُنادي

ساعد ا فؤادي

وأنا أنهشُ ذاك اللحمَ ممزوجاً بأنواع الملذاتِ

وتندى صلعتي البيضاءُ من عصِّ اصطيادي

ولا تسله عن حلول شهر رمضان فتلك حكاية من عالم آخر مع تنوع الأكلات وتزاحم الحلوى :

ورأينا الكعك والحلوى وقد

ملأت أطباقها كلَّ الجهات°

و (بلاليط°) و (قيمات°) لها

جانب (الساقو) على الطعمِ حلاه°

آه لو بينَ يدَي (سمبوسة°)

عزفت° في المضغِ زُوتَ القرمشات°

وأعادت هذه الذكرى إذا

حلَّ شهرُ الخيرِ بين الذكريات°

ولا زال السؤال يراودني وأنا أتنقل من طبق إلى طبق هل المقصود بهذه الأطباق ذاتها أم ترنو لمعنى آخر

باطني أوليس كما قالت العرب قديماً : "المعنى في بطن الشاعر" (وهو مثل قيل للدلالة على أن القصيدة التي يكتبها أي شاعر قد يستشف منها القاريء معنى معيذاً، ولكن المعنى الحقيقي يكون دائماً لدى الشاعر الذي أبدع القصيدة، وربما يكون ذلك من جماليات الفن ، يأخذه كل شخص بالمعنى الذي وصل إليه)

فهل قصيدته (الراقصة خلف الزجاج) هي الشاورما أم هي فتاة أخذت بليده فآثر أن يموِّه ليكتم ما يجول بخاطره:-

تدورُ حولَ عمودٍ وهي راقصة° ...

خلفَ الزجاجِ بفنٍّ يلهبُ العمَلا

فحاصرتنيَ إغراءً يهيِّجُني

وأومات ليَ أقدمُ سيدي عَجَلا